خطبة جمعة بعنوان

[تحذير الأنام من أضرار المال الحرام]

لفضيلةِ شَيْخِنَا العلامة:
أبِيْ عبدالرحمن يحيى بن علي الحجوري

سجلت بتأريخ ١٩/شوال/١٤٤٣ هجرية
مسجد إبراهيم بشحوح سيئون

فرغها / أبو عبدالله زياد المليكي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أما بعد أيها الناس: صح من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه عند الترمذي(2376) وأحمد (15794)

وغيرهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"ما ذِئبانِ جائعانِ أُرْسِلا في غنَمٍ ، بأفسدَ لها من حِرصِ المَرءِ على المالِ والشّرَفِ لدينِهِ.

وهذا حديث عظيم أفرده الإمام ابن رجب رحمه الله بالتصنيف، لما فيه من معاني عظيمة، ومثل بليغ، ومعنى هذا الحديث أن حرص المرء على الشرف وهو: المنصب والجاه، وحرص المرء على المال يفسد دينه،هذا الحرص أشد من فساد ذئبين ضاريين جائعين يرسلان في غنم، وأنت خبير أن الذئب الواحد لو أرسل في زريبة كاملة ربما أفسدها، وقد يشكل معنى هذا الحديث ووجه فساد دين المرء من حرصه على المال والشرف، فما وجه ذلك ؟ وجه ذلك أن حرصه على المال والشرف يؤدي به إلى الافتتان بالمال، فيصدر منه الافتتان به، وإذا افتتن به من شدة حرصه عليه فقد فسد دينه، وأبان ذلك حديث بن عياض رضي الله عنه عند أحمد والترمذي(2336) بسند صحيح،

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"

إنّ لكلّ أمّةٍ فتنةً وفتنَةُ أمّتي : المالُ.

فإذا افتتن الإنسان به لشدة حرصه عليه أضاع من أجله دينه، والله جل وعلا يقول :{أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ}[الأنفال:28].

وجه ذلك أيضا أنه إذا اشتد حرصه عليه نافس فيه، فينافس أهله للوصول إلى المزيد منه،

منهومان لا يشبعان، منهومن لا يشبع في دنيا لا يشبع ومنهومن في علم لا يشبع، حتى لو قال له واديان ذهب أحب أن يكون له ثالث، وهذا سبيل هلاكه، وسبيل ضياع عمره، وسبيل ظياع دينه، فإن هذا هلع مهلك،قال الله:{ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22)}[المعارج:19،22]

هلع زكى الله المصلين عن الوقوع فيه، واستثناهم عن الوقوع فيه، فمن حرص على المال إلى أن صار هلعا عليه فإنه لا يشبع، فيصير معذبا به، قال الله :{فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (55)} [التوبة:55].

وجه ذلك أنه إذا حرص على المال وأشد منه الحرص على الشرف، إذا حرص على المال ربما قدسه، وارتكب المآثم والجرائم من أجله، وفي صحيح البخاري(2887)عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"تَعِسَ عبدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ.

من أي وجه يصير عبدا للدينار؟ لأنه عظمه حتى ارتكب ما حرم -الله عز وجل- من أجله، فلما ارتكب المحرمات والجرائم والمآثم من أجله جعله مقدسا، جعله شريكا لله في العبودية، عظمه، قال الله عز وجل: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31)}

[التوبة:31].

قال المفسرون : أي أطاعوهم في معصية الله، أحلوا لهم الحرام وأحلوا لهم الحرام فأطاعوه، فصار هذا اتخاذا لهم أربابا من دون الله، وإشراكا لهم مع الله، شرك، فهذا وجه فساد الدين في شدة الحرص على المال والمناصب والجاه، من هنا يفسد الدين، وجه فساد الدين من حيث حرص الإنسان على الشرف والمال أنه قد يبيع دينه من أجله من أجل المال، يبيع الدين من أجل المال، وقد أبان ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في صحيح الإمام مسلم(118)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال عليه الصلاة والسلام:"بَادِرُوا بالأعْمَالِ فِتَنًا كقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كافِرًا، أوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدّنْيَا.

يا سبحان الله ما أسرع هذا التغير، إنه بيع الدين، إنه الحرص على المال أو الشرف، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو العكس يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، سويعات ينقلب فيها من مؤمن إلى كافر، ما السبب؟ دينار، درهم، المال، يبيع دينه بعرض من الدنيا، هذا العرض مجهول، يصدق على المال، يصدق على الجاه يصدق على المنصب، من أجله باع الدين، لربما صار في وقت قصير من مسلم إلى علماني، باع دينه من أجل الدنيا أن يحصل له منصب أو جاه أو يتوفر له مال، علماني، ليبرالي، ماسوني، رافضي، أو أي شيء من هذه النقلة السريعة من دين الإسلام إلى المروق، بسبب الدنيا وبيع الدين بالعرض، بالمال، أو الجاه، أو المنصب، فانظر كيف يفسد دين الإنسان من أجل ما الدنيا انظر، ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها، ما هي أشد فسادا لها ؟ من حرص المرء على الشرف والمال لدينه، وجه فساد دين المرء من حيث أنه قد يهلك بسبب هذا الحرص، ربما هلك، ووقع في أشياء تشين دنياه وأخراه، وفي الصحيحين، عن عوف بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حين قدم أبو عبيدة بمال من البحرين، كان عاملا أهل البحرين، وأفى أصحاب رسول الله صلى الله

عليه وسلم معه الصلاة صلاة الصبح، فقراء محاويج، فرحوا بقدوم أبي عبيدة، فلما سلم من الصلاة قال:"أظنُكم سَمِعْتُم أنّ أبا عُبَيْدةَ قدِمَ بشيءٍ منَ البحرَين ؟، قالوا: أجَلْ، يا رسولَ اللهِ قالَ: أبشِروا، وأمِّلوا ما يسرُّكم، فواللهِ ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكِنِّي أخشَى عليكم أن تُبسَطَ الدُّنيا عليكم، كما بُسِطَت على مَن كانَ قبلَكم، فتَنافسوها كما تنافسوها، فتُهْلِككم كما أهْلَكتهُم"؛البخاري(3158)، ومسلم (2961).

فدل على ان وجه فساد الدين من حيث التنافس على المال، على المناصب، من أجل ذلك أزهقت الأرواح، أريقت الدماء ، قطعت الطرق، فسدت حياة الناس، ذهب كثير من دينهم، وربما ذهب الدين كله، وفسد الدين كله بسبب ذلك، تهلككم كما أهلكتهم، هذا الذي خافه علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يخف علينا الفقر، نحن مرزوقون من ربنا، تكفل ربنا بكل خير للمؤمن، قال الله:{وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22)}[الذاريات:22].

إنما الخوف علينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق هو من هذه الوجهة، من التنافس، فلان فعل وأنا أنافسه، لماذا يا أخي؟ تنافس في الدنيا تعرض نفسك للهلاك، ولا تنافس في الخيرات والطاعات، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، انظروا إلى من هو أسفل منكم، أي في المال والجاه والمنصب، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم، في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

هذا مدركه فساد الدين هو التنافس على الدنيا، وفي الصحيحين، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إنّما أخافُ عليْكم من بعدي ما يُفتَحُ لكم من زَهرةِ ودَكرَ الدُّنيا وزينتَها" ؛البخاري (1465)، ومسلم (1052)

هذا هو موطن الخوف علينا، وهذا هو

المتحقق وقوعه في الناس، وهو سبب رئيسي لفساد الدين، خاف

رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ذلك، زخرف الدنيا وزينة الدنيا، وهكذا إن مما خافه علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لأنه سبب رئيسي أساسي لذهاب الدين، إن مما أخاف عليكم من بعدي بطونكم وفروجكم ومظلات الأهواء، وجه فساد الدين من الحرص على المال والجاه والمناصب أنه قد يلهو عن ذكر الله، وعن طاعة الله بذلك، فيخسر خسارة فادحة لا يتلافاها بعد موته، قال الله جل وعلا في كتابه الكريم:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (9)}[المنافقون:9].

خسارة النفس، خسارة الأهل، خسارة الولد، خسارة المال، ما ينفع كله، إذا خسر الإنسان أخراه لا ينفعه شيء، قال الله:{وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ}[سبإ:37].

ما يقربك إلى الله شيء،{إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (37)}[سبإ:37].

وقال الله:{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1)

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2)}[المسد:1،2].

ما الذي استفاد من ماله؟ معذب في نار جهنم، سيصلى نارا ذات لهب، ماذا يغني عنه؟ وقال الله:{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25)وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26)

}[الحاقة:25،26]

تمنى أنه ما درى ما الحساب،{ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ (28)}

ما الذي أغنى عنه؟ هل هذا السكت ما أغنى عني مالي، ما أغنى عني ماليه، ما الذي استفدت من مالي؟{هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29)} هلكت الرئاسة، هلكت الوزارة، هلكت المملكة، ذهب كله، ما يغني عنه شيء، فلهذا يتحسر غاية الحسارة،{يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27)} أي يا ليتني مت قبل هذا ولم أكن شيئا، ما نفع شي، ونظير ذلك قول الله جل

وعلا:{وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (11)}[الليل:11].

ما يغني عنه، ما الذي تستفيد من مالك إذا ترديت في عذاب الله، تردى عند المفسرين : أي سقط في العذاب هلك.

ايش الفايدة؟ ايش النتيجة؟ إن الإنسان العاقل يعمل ينظر إلى النتيجة والعواقب، ما يعمل عشوائيا، يتدبر العواقب، عدم تدبر العواقب صفة البلهاء، الذين لا يعرفون ما النتائج، العامل في دنياه ينظر النتيجة والمكسب، والدارس في المدارس ينظر النتيجة وآخر ذلك، والآخرة ما تنظر نتائج الموصل إليها، تمشي كأنك مكبا على وجهك، قال الله:{أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (22)}[الملك:22].

واحد يمشي كالأعمى يكب على وجهه، أيهما أهدى ممن يمشي على سواء الصراط والحق ويتحرى ذلك إلى أن يلقى الله، إن وجه فساد الدين من جانب المال من حيث كسبه فإنه ربما اكتسبه دون تحري فيفسد عليه دينه من شتى الوجوه، وفي الحديث الثابت عن ابن مسعود وغيره أن النبي صلى عليه وسلم قال:"لا تزولُ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتّى يُسألَ عن أربعٍ : عن عُمرِهِ فيمَ أفناهُ ؟ وعن علمِهِ ماذا عمِلَ بهِ ؟ وعن مالِهِ مِن أينَ اكتسبَهُ ، وفيمَ أنفقَهُ ؟ وعن جسمِهِ فيمَ أبلاهُ ؟

هذا سؤال أعد له جوابا أمام الله عز وجل، إن كنت مؤمنا بالله تؤمن بالبعث والنشور ولقاء الله يوم القيامة، وهذا شأن المسلم، أما من رد ذلك فلا حظ له في الاسلام، من لم يؤمن بالغيب، ولا يؤمز بالبعث والنشور ولقاء الله والجزاء والحساب لا حظ له في الإسلام، قال الله:{زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (7)}[التغابن:7].

فشأن الكفار عدم الإيمان بالبعث، عدم الإيمان بلقاء الله، ولهذا تجده كما وصف الله:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ

مَثْوًى لَهُمْ (12)}[محمد:12].

ما عنده بعد نظر للآخرة أبدا، فقط يأكل كما هو في الدنيا، ولهذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"لَيَأْتِيَنّ على النّاسِ زَمانٌ، لا يُبالِي المَرْءُ بما أخَذَ المالَ، أمِنْ حَلالٍ أمْ مِن حَرامٍ"؛ أخرجه البخاري(2083) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

والشاهد من ذلك عدم التحري، القصد أن الحلال عنده ما هو حل في اليد، من أي جهة كان، فلهذا في مثل هذا الحال يفسد عليه دينه، إذا دعا الله عز وجل لا تجاب دعوته، روى مسلم في صحيحه(1015)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"أيُّها النّاسُ، إنّ اللهَ طيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلّا طيِّبًا، وإنّ اللهَ أمَرَ المُؤْمِنِينَ بما أمَرَ به المُرْسَلِينَ، فقالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: 51]، وقالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: 172]، ثُمّ ذَكرَ الرّجُلَ يُطِيلُ السّفَرَ أشْعَثَ أغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السّماءِ، يا رَبِّ، يا رَبِّ، ومَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرامٌ، وغُذِيَ بالحَرامِ، فأنّى يُسْتَجابُ لذلكَ؟!.

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر كلها من أسباب الإجابة إجابة الدعاء، السفر في طاعة الله وفي المباحة، وهكذا أشعث أغبر يمد ذو طمرين لو أقسم على الله لأبره، وهكذا رفع اليدين حي يستحي من أحدكم إذا رفع يديه له أن يعيدهما صفرا، وهكذا الإلحاح على الله يا رب يا رب، يرفع يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له.

أنت فقير إلى الله، مالك غنى عن الله طرفة عين، ما استغنى عن الله هلك، قال الله:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15)}[فاطر:15].

في كل لحظة، في كل طرفة، في حركاتك، وسكناتك، ومأكلك، ومشربك، ومدخلك، ومخرجك، وقيامك، وقعودك، ولا غنى لك أبدا،

فلو لم يعينك الله ويجيبك هلكت، فلا تعرض نفسك أن ترد دعواتك، بأكل الحرام فيفسد عليك دينك، بحاجة أن يهديك الله، حاجة أن يوفقك الله، تدعو الله كثيرا لا يستجاب لك، فأنى يستجاب له، وهكذا تعرض نفسك بالمال الحرام بأكل الحرام تعرض نفسك لدعوة مظلوم فتهلك بها، ورب دعوة مظلوم تشقيك، تسبب لك الشقاوة، لما في الصحيحين، من حديث ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن قال:"إنّكَ سَتَأْتي قَوْمًا أهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إلى أنْ يَشْهَدُوا أنْ لا إلَهَ إلّا اللّهُ، وأنّ مُحَمّدًا رَسولُ اللّهِ، فإنْ هُمْ أطَاعُوا لكَ بذلكَ، فأخْبِرْهُمْ أنّ اللّهَ قدْ فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في كُلّ يَومٍ ولَيْلَةٍ، فإنْ هُمْ أطَاعُوا لكَ بذلكَ، فأخْبِرْهُمْ أنّ اللّهَ قدْ فَرَضَ عليهم صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِن أغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ علَى فُقَرَائِهِمْ، فإنْ هُمْ أطَاعُوا لكَ بذلكَ، فَإِيّاكَ وكَرَائِمَ أمْوَالِهِمْ، واتّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فإنّه ليسَ بيْنَهُ وبيْنَ اللّهِ حِجَابٌ"، البخاري (1496) واللفظ له، ومسلم (19)

النبي صلى الله عليه وسلم يرسل معاذا حبه، والله يا معاذ:"واللّهِ إنّي لأحبُّكَ، واللّهِ إنّي لأحبُّك، فقالَ: أوصيكَ يا معاذُ لا تدَعنّ في دُبُرَ كلّ صلاةٍ تقولُ: اللّهمّ أعنّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسنِ عبادتِكَ"؛

أخرجه أبو داود(1522) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

ومع هذا يوصي حبه، يوصي هذا المحبوب، هذا العالم، هذا الفقيه، هذا الحافظ القارئ، حذره من التعرض لدعوة مظلوم، قال : فإنه ليس بينها وبين الله حجاب.

فمعناه إنك إن أخذت من أموالهم مالا تسببت الضرر لهم في أموالهم غير حق أصابتك دعوته؛ دعوة المظلوم، إن أكل الحرام بشتى أنواعه أكل، أو لبس، أو شيء من ذلك هذا نار محقق، المال الحرام نار، قال الله عز وجل:{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (10)}[النساء:10]

جمع لك نار، في صحيح مسلم(1041)من حديث أبي هريرة رضي

الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"مَن سَألَ النّاسَ أمْوالَهُمْ تكثُرًا، فإنما يَسْألُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلّ، أوْ لِيَسْتَكْثِرْ.

إن فساد الدين قد يأتيك من هذه الوجهة من الحرص على المال حراما كان أو حلالا فيفسد عليك دينك، وكم ترون الذين لا يبالون بأخذ المال ولو من أنواع الربا، وقد توعد الله جل وعلا بأنواع من العذاب في أكل الربا،

قال الله سبحانه:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (278)فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا} أي يصلكم الإعلام والإخبار من الله:{فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279)}[البقرة:278،279]

أكل الربا أكل مال الغير ظلم، غير حق، الذي امتلأت أسواق البصرة هذه منه والرأسمالية منه إلا من رحم الله، وأمثال ذلك، وكم ترى تهديد هذه الأسواق وهذه الرأسماليات بالإفلاس بسبب أنها أموال محرمة، حارب الله أهلها شتى أنواع المحاربة، وما نجاتك إذا حاربك ربك، من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، ولا يزال بالحرب، هذا كله من حرب الله سبحانه، ما تحصل من الفتن هو عرضة لهذا الحرب الإلهي، بسبب عدم تحري المال الحلال، وبسبب المال الحرام وعدم المبالاة به{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (278)فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ}

ما أكثر أحد من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة، وفي الصحيحين، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"اجتنبوا السبع الموبقات.

المال الحرام قد يوبقك في العذاب، يوقد في عذاب الله، يهلكك فيه، قالوا وما هي يا رسول الله؟ قال:"الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"؛ البخاري (2615)، ومسلم برقم (145).

كل هذا موبق، ومنه المال الحرام، موبق لدين الإنسان ها من هنا يفسد عليه دينه، بأفسد لها من حرص المرء على الشرف والمال لدينه.

إن المال الحرام يجعلك يوم القيامة مفلسا، وأنت تحسب أنك تثري في هذه الدنيا، لا والله، المال الحرام من أين اكتسبته فإنه يوم القيامة عذاب عليك يذهب بالحسنات، روى مسلم في صحيحه(2581)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" أتدرون من المفلس؟ قالوا: يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع.

واضح هذا في كتب الإفلاس كتب الفقه نعم، ولكن أخبرهم النبي بالإفلاس الأكبر والأعظم والأهم من ذلك، قال :"إنّ المُفْلِسَ مِن أُمّتي يَأْتي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويَأْتي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمّ طُرِحَ في النّارِ.

وأكل مال هذا، انظر وجه الإفلاس، فيؤخذ لهذا من حسناته، ولهذا من حسناته، ولهذا من حسنات، أصحاب ديون؛ ديون الأعراض، ديون الأموال التي أخذ من أموالهم ظلما، ربا، رشوة، كل ذلك لأي وجه تأخذ المال ليس لك فيه حلال كل ذلك تأديه يوم القيامة، فإن فنيت حسناته أخذت من سيئاتهم فطرحت عليه، ثم ألقي في النار. وروى مسلم في صحيحه(138)

، عن إياس بن ثعلبة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"مَن أخذ مالَ امرئٍ مُسلِمٍ بغيرِ حق.

هكذا لفظ جامع يشمل أي مال تأخذه بغير وجه شرعي، أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة، قالوا يا رسول الله وان كان شيئا يسيرا؟ قال وإن كان قضيبا من أراك.

عساه سواك تأخذ بغير حقه فإنك تعرض نفسك للنار، تأكل نارا، وروى

الشيخان في صحيحيهما، من حديث أم سلمة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"إنما أنا بَشَرٌ وإنكُمْ تختَصِمُونَ إليّ، ولعَلّ بَعْضَكُمْ أنْ يَكونَ ألْحَنَ بحُجّتِهِ مِن بَعْضٍ، فأقْضِي على نحْوِ ما أسْمَعُ، فمَن قُضَيْتُ له مِن حَقّ أخِيهِ شيئًا، فلا يَأخُذْهُ فإنما أقْطَعُ له قِطْعَةً مِنَ النّارِ.

والشاهد من ذلك أن قضاء القاضي إذا حصل تزوير، أو شهادة زور، أو قضى بنحو ما يسمع، هذا لا يحل الحرام، الحرام حرام على أي وجه كان، لا تستبح الحرام بالحيل.، لا ترتكبوا ما ارتكبت يهود فتستحلوا ما حرم الله بأدنى الحيل، فبنو إسرائيل، قال الله لهم :{كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65)}[البقرة:65]

قردة مخسوئين بسبب الحيل على الأموال المحرمة، وأخذها من غير وجه شرعي، ولهذا كانوا بعد ذلك في أشكال القردة، وقد قص الله عز وجل لنا حال إنسان أكرمه الله بالآيات شيء من العلم ثم لم يعظمه، ومال إلى المال والدنيا فصار حاله مهانا عند سائر من يقرأ كتاب الله ويقرأ تلك القصة،{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175)وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ}المال، الجاه، المنصب، هذا سبب مهانته{وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ}[الأعراف:176]

واصل الكلب وهو يلهث، حتى وهو كذلك في حفرته ما يمشي ولكن يلهث، يلهث هكذا الإنسان المجنون بعد الدنيا ما يشبع، أو تتركه يلهث،

وهكذا وصف الله عز وجل من باعوا دينهم من أجل المال بأوصاف ذكرها في كتابه:{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا}[الجمعة:5].

ايش يستفيد الحمار من الكتب على ظهره؟ لا يأكل ولا يشرب، ما معه منها إلا الثقل، والشاهد من ذلك اشتروا به ثمنا قليلا، سبب ذلك الدنيا والحرص على المال، قال الله :{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (187) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (188)}[آل عمران:187،188]

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه، الحمد لله حمدا كثيرا يرضاه، أما بعد: فإن عافيتك أيها المسلم في دينك، وأنها لا تكفي الانفلات عنه بأي وجه كان، عافيتك في بعدك عن الحرص، على المال والشرف، الذي يسبب لك الهلاك في الدين، إن المال الحلال نعم المال الصالح للرجل الصالح، ولكن نرى من يسقط على أم رأسه من أجله، من أجل المال أو المنصب، ليس هذا من جديد ولكنه من قديم، والأدلة المذكورة سبق ذكر بعضها، وقد يتعرض الإنسان للعنة الله، وسخط الله، ومقت الله، بسبب الحرص على المال من غير حله، على الجاه، على المنصب، حتى يفسد عليه دينه، يضيع عليه دينه، وفي الصحيحين قصة الأقرع والأبرص والأعمى أن أولئك الذين رزقهم الله المال بعد أن كانوا فقراء جاء الملك إليهم قال: مسكين وابن سبيل لا بلاغ اليوم لي إلا بالله ثم بك بعيرا أتبلغ به، قال الحقوق كثيرة، قال كأني أعرفك، أو قال: كنت فقيرا فأغناك الله؟ قال: ورثت هذا كابر عن كابر، فكذب وتبجح وجحد نعمة الله عليه، وبخل بالمال، وكذلك أيضا الأبرص، قال: إن كنت كاذبا رداك الله إلى ما كنت، رجع إلى ما هو فيه من التعاسة والشقاوة ومسخ الدين وما هو عليه، وهكذا النبي صلى الله عليه وسلم يخبر أنه قد يلعن الإنسان سبب المال، لعن الله الراشي والمرتشي، ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، فإذا أخذ المال من الرشوة فإن ذلك سبب اللعنة، وقد يلعن أيضا بسببه من حيث الربا، لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه، وجاء زيادة أيضا وشاهديه، وقد يأخذ المال من حيث الخمر وبيع الخمر والمحرمات، ولعن في الخمر عشرة، شارب الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومشتريها وحاملها والمحمول إليه، والشاهد أنه كل ذلك بسبب المال، إن أكل المال الحرام لا تفرح به لو عندك مثل الجبال مال من حرام والله ما هو

إلا شقاء عليك، فقد قال الله عز وجل:{قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (100)}[المائدة:100].

خاطب الله أصحاب العقول الفاهمة، ما هو البله الذي لا يهمه إلا الدنيا، اتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون، يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، خاطب الله المؤمنين بذلك، الذين هم أهل الفلاح، والمال السحت صاحبه معذب، قال الله سبحانه:{سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ۚ}[المائدة:42]

وقال الله :{وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (1)الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (2)}[الهمز:1،2].

قال الله:{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1)حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2)}[التكاثر:1،2].

فيسبب له اللهو، وانظر إلى أصحاب الجنتين، قال الله سبحانه :{وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32)كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (33)}[الكهف:32،33].

استدراج من الله ابتلاء ،{وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34)}

أوعجب اغتر، هكذا شأن المال الذي هو يفسد الدين أن يسبب لصاحبه الغرور والعجاب والطغيان، كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى{أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34)وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ} متبجح،

قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (35)وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً}

أدى به اغتراره بالدنيا، واخلاده إلى الأرض، وانبهاره واعجابه ببستانه إلى أن أنكر القيام والساعة، ثم قال بعدها {وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (36)}

أي إذا كنت كذلك إذا بعثت أو مت أنا عندي بستان في الجنة كذلك،

{قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37)لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38)وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (39)فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40)}

هكذا{وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42)}[الكهف:42]

أفناها الله، عذبه الله، إنما ذلك الشاهد أن فساد دينه أوتي من قبيل المال والغرور به والعجاب به، قصة قارون قال الله:{فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79)وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80)فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (81) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (82) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83)}[القصص:78،83]

من أجله يسرق، من أجله يكذب، قال الله:{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (38)}[المائدة:38]

من أجل المال يهين نفسه، ويسرق المال، ويتعرض للمذلة والمهانة، من أجل المال يفسد دينه، حتى يغل، قال الله:{وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}[آل عمران:161]

فيأتي به يحمله،:"فَوالذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لا يَغُلُّ أحَدُكُمْ مِنْها شيئًا إلَّا جاءَ به يَومَ القِيامَةِ يَحْمِلُهُ علَى عُنُقِهِ؛ إنْ كانَ بَعِيرًا جاءَ به له رُغاءٌ،

وإنْ كانَتْ بَقَرَةً جاءَ بها لها خُوارٌ، وإنْ كانَتْ شاةً جاءَ بها تَيْعَرُ، فقَدْ بَلَّغْتُ. فقالَ أبو حُمَيْدٍ: ثُمّ رَفَعَ رَسولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عليه وسلّمَ يَدَهُ، حتّى إنّا لَنَنْظُرُ إلى عُفْرَةِ إبْطَيْهِ"؛أخرجه البخاري (7174)، ومسلم (1832)، من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

في عرصات القيامة وهو يحمل نعال أو بندقية أو يحمل شاة أو يحمل كذا، الشاهد أنه يحمله، عظم الناس أن هذا هلك بسبب المال وافتضح به، هذا كله دلالة على أن المال سبب لفساد الدين، وكذلك الجاه والمنصب على ما دل عليه قول النبي صلى الله وسلم :" ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على الشرف والمال لدينه.

اسأل الله سبحانه وتعالى أن يدفع عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، ربنا آتنا في الدنيا حسنة في الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، يا مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك، وتوفنا على الإسلام السنة والحمد لله رب العالمين.